قصة

بقلم الأستاذ ميشيل تكلا

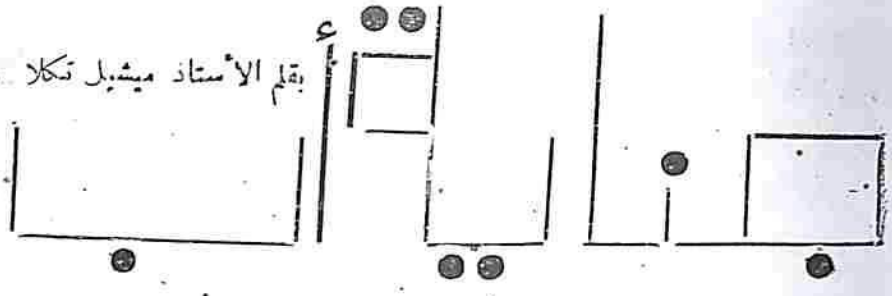

تكن حياتها غير سلسلة جارفة من طغيان ابيها عليها ؛ وتحكمه في كل خلجة من خلجات نفسها ، حتى اصبحت ترى ان العيش معه ضرب من المحال وفضلت ان ترتمي في احضان اول من يطرق بابها، علّه يقيها شر ذلك الثعبان ويرد عنها طغيان ذلك الاهوج المجنون الذي يرى ان الطبيعة منحته مطلق الحرية في التحكم في قدرها ومستقبلها على السواء .

كانت (آمال) فتاة ناضرة العود ، طليقة المحيا ، بسّامة الثغر ، هادئة الطبع ، واسعة الادراك نهمة الاطلاع ، فقلما كنت تراها تدمج نفسها مع فتيات او فتيان عائلتها الكبيرة بل كانت دائماً نسيج وحدها ، تنفر من الناس ، وتفضل الانزواء في ركن منعزل ، لتقرأ وتغترف من مصنفات العلوم والآداب ، ما شاء الله لها ان تغترف من علم وادب . فلم تخط العشرين من عمرها حتى كانت قد درجت في الحياة ، وفهمت فيها اشياء لم تقو اتراب لها على فهمها ، وانصهر عقلها واسجتمع لاسباب الحكمة والفطنة ما كان سر شقائها وتعاستها .

وكان ابوها (لطفي بك) رجلا قدّ قلبه من صخر . لا تلين له عريكة ، ولا يطيب له خاطر . فهو دائماً الحاكم بامره . المسيطر على اقدار عائلته ، المصرف امورها في حركات لولبية سريعة . يقول عن نفسه انه ينتمي الى فصيلة هؤلاء الرجال الذين عرفوا في التاريخ بسرعة البت في الامور . فلا يهمه في كثير او في قليل سوء البت او حسنه بقدر مايطمع فيه من ارواء غليله واطفاء شهوته . فينفذ ما يتراءى له فوراً وفي الحال وان كان في ذلك ضرر له او خسارة عليه !

ونمت آمال وترعرعت ، وهي لا تخاف في الغيب شيئا غير الرجال . فقد استطاع ابوها ان يغرس في مخيلتها انه لا يثق في انسان وان الرجال في مجموعهم ذئاب : وشرذمة مخادعين اشرار ، يطاردون المرأة في كل مكان، ويسجدون تحت اقدامها في ذلة وانكسار حتى اذا ما نالوا منها ما ربهم ، تركوها كوما مهملا فلا يعودون يعيرونها ادنى التفاتة اواقل اهتمام !

وتسلطت هذه الفكرة على دماغ الفتاة . واصبحت ترى ان اباها كان على حق فيما ذهب اليه . عندما دأبت تقرأ بشغف زائد مجموعة كبيرة من قصص دي موباسان وموروا وغيرهما من فطاحل كتاب القصة الفرنسيين . فقد كانت باللغة الفرنسية شغوفة وبآدابها ولوعة دائبة الاطلاع . .

ومرت الايام سريعة متوالية . والفتاة تتأجج فيها عواطف مختلفة وتتنازعها تيارات جارفة من حب مستعرة في كيانها تكاد تعصف بها ، وتلتهم قلبها الصغير ، ولكنها سرعان ما تهدأ ، فتموت فيها العاطفة ، ويخبو فيها النداء ، وتعود الى ما كانت عليه قبلا من برود وسكينة عند ما يواجهها أبوها برأي جديد في الرجال .

وذات يوم طرق بابها طارق جديد فتى في ريعان الصبا ، وغض الشباب، على جانب كبير من الذكاء ومتانة الخلق . وهو وان كان ينتمي الى عائلة متوسطة الحال الا انه استطاع في مستهل شبابه ان يركز قدمه في المجتمع الانساني ، غدا في وقت قصير من رجال الادب الذي ينظر اليهم بالامل البراق وينتظر له مستقبلا باهرا على الدوام .

وتقدم الشاب يطلب يد الفتاة . فزكاه مركزه الاجتماعي وسمعته الطيبة لدى العائلة ، وطاطأ لطفي بك رأسه وقبل الفتى على الفور ، وبدون تردد او إحجام .

وعاد رشاد الكاتب الناشئ الى نفسه يسألها كيف قدر له ان يحظى برضا الاب في غمضة عين . بل انه لم يكن ليصدق ان عائلة كعائلة لطفي بك ترضى به زوجا لآمال تلك الفتاة